

كلمة البطريك الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي الكلي الطوبى
راعي المؤتمر السنوي الرابع والعشرين للمدارس الكاثوليكية
"الراعية المدرسية في المدارس الكاثوليكية في لبنان: رؤية ومسارات"
5-6 أيلول 2017 في ثانوية الراهبات الأنطونيات - مار الياس - غزير

"صنع الجماعة التربوية"

1. يسعدني أن أحيي نيافة الكاردينال Giuseppe Versaldi، رئيس مجمع التربية الكاثوليكية الذي شرفنا بحضوره. وأشكره باسمكم على كلمته التوجيهية. كما أحيي سيادة أختنا المطران حنا رحمه رئيس اللجنة الأسقفية، والأب بطرس عازار الأمين العام للمدارس الكاثوليكية في لبنان، وكلّ المشاركين في هذا المؤتمر، والمحاضرين فيه. ونعرب عن شكرنا لثانوية مار الياس للراهبات الأنطونيات هذه، لاستضافة المؤتمر. ويطيب لي أن أتكلّم عن "صنع الجماعة التربوية" وفقاً للبرنامج المقترح.

2. "صنع الجماعة" في المدارس الكاثوليكية عنصر أساسي في تكوين الراعية المدرسية. هذه الجماعة تستجيب إلى ضرورة العمل الجماعي المشترك في تحقيق العملية التربوية. ولذا، تصنعها المدرسة، إدارة ومعلمين وتلامذة والعائلة والمجتمع المدني والدولة والكنيسة. فهي كلّها معنيّة بتربية التلميذ في كلّ أبعاد شخصيته العلمية والأخلاقية والاجتماعية والوطنية والروحية. وبفضل تعاون مكونات الجماعة التربوية، يتخرّج التلامذة من المدرسة الكاثوليكية حاصلين على معرفة علمية نوعيّة، وعلى أسس ثقافية وروحية وخلقية، تجعل منهم مواطنين مسؤولين متعمّقين في الثقافة اللبنانية، ومسيحيين ناشطين، وشهوداً للإنجيل. وبذلك يواجهون بصفاء مستقبلهم. ويجدون أسباباً للعيش وللرجاء¹.

3. في إعلان المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني "في التربية المسيحية" نجد أدوار المكونات التي تصنع الجماعة بانصبابها كلّها على تكوين شخصية التلميذ جسدياً وأخلاقياً وفكرياً بشكل متوازن، بحيث يكتسب تدريجياً حسن المسؤولية الناضج، والترقي الشخصي والحرية المبنية على الحقيقة، والإندماج السليم في مساحات العيش معاً في المجتمع، وإمكانية تقييم وقبول القيم الأخلاقية بضمير مستنير². هذه المكونات الخمسة: المدرسة والأهل والمجتمع المدني والدولة والكنيسة³، يحدّدها بدوره المجمع البطريركي الماروني⁴.

¹ البابا يوحنا بولس الثاني: رجاء جديد للبنان، 106-107

² الاعلان في التربية المسيحية، 1.

³ راجع إعلان التربية المسيحية، 2-16.

4. **المكوّن الأوّل** لصنع الجماعة هو المدرسة، إدارة ومعلّمين وأهلاً وتلامذة يؤلّفون أسرتها التربوية. إنّها المكان الّذي تلتقي فيه المكوّنات الأخرى، الّتي تشكّل معها الجماعة التربوية الكبيرة. فالمدرسة تتعاون مع الوالدين في أداء واجبها التربوي، وتحلّ محل الجماعة البشرية في تربية أعضائها. وهي بالتالي تلبي الدعوة والرسالة الموكلتين إليها من العائلة والكنيسة والمجتمع والوطن⁵. إنّها تُعنى بإنضاج إمكانيّات التلميذ الفكرية، وتنمية قدراته على التحليل والحكم في الأمور، وإدراجه في رحاب التراث الثقافي المكتسب عبر الأجيال، وإعداده للحياة المهنية، ومساعدته على نسج علاقات صداقة، مع رفاقه من مختلف المذاهب والمناطق، وعلى روح التفاهم⁶.

وتضع المدرسة كلّ طاقاتها في خدمة الجماعة المسيحية، وبصورة أشمل، في خدمة الوطن كلّه. فهي تعني بالبعد الروحي والأخلاقي، وتقدّم رؤية للإنسان والتاريخ مستنيرة بالإيمان وبشخصية يسوع المسيح⁷.

أمّا المعلم فهو المحور الأساس لإنجاح العملية التربوية، وصنع الجماعة. إنّ وجه المدرسة، المؤتمن على تربية كلّ تلميذ وتلميذة من تلامذته باسم أهله والمجتمع والكنيسة والوطن. فالمطلوب أن يكون ذا ثقافة أكاديمية، ومميّزاً بأخلاقه وقيمته الروحية. ليس المعلم مجرد ملقّن معلومات ومدرب مهارات، بل هو أولاً مربّ يُجسّد في شخصه المبادئ التي يعلمها. إنّ ذلك يُشدّد روابط الجماعة التربوية⁸.

ويأتي التلميذ العنصر الثالث في المدرسة بعد الإدارة والمعلم. إنّ شريك مساهم في تميم غاية العملية التربوية، وهدف الجماعة ومبرّر وجودها. إنّ العامل الأوّل في تربيته الذاتية الذي يخلق بينه وبين المعلم والإدارة، وبينه وبين مكوّنات الجماعة التربوية الأخرى علاقات محبة واحترام⁹.

5. **المكوّن الثاني** في صنع الجماعة التربوية هو العائلة. فعلى الوالدين، لأنهم نقلوا الحياة لأولادهم، يقع الواجب الخطير لتربيتهم. فهم المربّون الأوّلون والاساسيون بالنسبة إليهم. لذا، من واجبهم خلق الجوّ الملائم في العائلة، والمميّز بالحبّ وتقوى الله ومحبة الناس. فالعائلة هي المدرسة الأولى للفضائل الإنسانية والاجتماعية، وللتنشئة الإنسانية¹⁰.

ويعود للوالدين الحقّ وحرية اختيار المدرسة لأولادهم، بحيث يعتبرون أنّها تواصل التربية التي يريدونها لهم. فيقع على السلطات المدنية واجب حماية هذه الحرية والدفاع عنها، باحترام العدالة التوزيعية، ودعم الأقساط المدرسية من المال العام من أجل الحدّ من تنامي هذه الأقساط وضبط زياداتها، بهدف التخفيف عن كاهل الأهل لكي يتمكنوا

⁴ راجع "الكنيسة المارونية والتربية: في التعليم العام والتقني"، 30-35.

⁵ إعلان التربية المسيحية، 5.

⁶ الكنيسة المارونية والتربية: في التعليم العام والتقني، 33.

⁷ رجاء جديد للبنان، 106.

⁸ الكنيسة المارونية والتربية: في التعليم العام والتقني، 33.

⁹ المرجع نفسه، 57.

¹⁰ في التربية المسيحية، 3؛ الدستور الراعي: الكنيسة في عالم اليوم، 48.

من اختيار المدرسة لأولادهم بملء حريّتهم، ووفقاً لضميرهم¹¹. وهذا مطلب متكرّر اليوم، بحكم الدستور اللبناني. إننا نحمل القيمين على شؤون الدولة المسؤوليات التالية: مسؤولية إرهاب المواطنين بالأقساط الجديدة التي سترتفع حتمًا، كنتيجة لسلسلة الرتب والرواتب وقد طالبنا بها وأردناها عادلة ومنصفة للجميع؛ ومسؤولية إرغام أية مدرسة على إقفال أبوابها؛ ومسؤولية زيادة عدد العاطلين عن العمل من بين المعلمين والموظفين؛ ومسؤولية حرمان المناطق الجبلية والنائية من مدارس مجّانية وغير مجّانية، وتهجير أهاليها إلى ضواحي المدن الكبيرة.

6. المكوّن الثالث هو المجتمع المدني، بما فيه من جمعيات أهلية وبلديات وأندية وسواها. إنه مدعوٌ للإفراح في المجال أمام التلامذة كي يقوموا بمبادرات تجسّد المبادئ التي تعلّموها، ويتمكّنوا من الاندماج في مجتمعهم، وتحفيز قدراتهم فيه. ومن واجب المجتمع المدني حماية المدرسة وتعزيز النشاط التربوي ومساندة الأهل حيث تدعو الحاجة¹².

7. المكوّن الرابع هو الدولة، المسؤولة عن سنّ القوانين والأنظمة للمؤسسات التربوية، ووضع المناهج. ومن واجبها تأمين المستوى الرفيع للدروس عبر كفاية المعلمين والجهاز المدرسي. وبما أنّها تسنّ القوانين للتعليم الرسمي والخاصّ على السواء، فمن واجبها بحكم العدالة التوزيعية، أن تدعم التعليم الخاص ماليًا كما قلنا¹³.

إنّ مدارسنا الكاثوليكية ترفض أن توضع، من قبل المسؤولين السياسيين، في مواجهة مع المعلمين وأهالي التلامذة. فليست مدارسنا ضدّ زيادة رواتب المعلمين، ولا هي تريد إرهاب الأهل بزيادة الأقساط. بل من أجل حماية المعلمين والأهل تطالب مدارسنا الدولة بدفع فرق الزيادات على الرواتب. فكيف تستطيع القيام بواجبات الرواتب الجديدة، وقد تسجّل تلامذتها ووُقعت العقود مع المعلمين وفقًا لأقساط العام الدراسي المنصرم، ووفقًا للموازنة الموضوعية قبل صدور سلسلة الرتب والرواتب؟ وإلا كانت حال مدارسنا كحال الشخص الذي يُرمى في الماء ويُقال له: "لا تتبلّل".

ومن الواجب الدولة أن تحمي التربية الأخلاقية والإنسانية، بضبط الانحرافات والممارسات المعاكسة عبر وسائل الإعلام وتقنيات التواصل الاجتماعي. فهذه، إذا أحسن استعمالها ببرامج بناءة، تكون شريكة فعّالة في العملية التربوية، وبخاصّة عندما يستعملها التلامذة لأغراض علمية وثقافية، ولإحياء حوار بناء مع الآخرين¹⁴.

8. المكوّن الخامس في صنع الجماعة التربوية هو الكنيسة المرسلّة من المسيح "التتلمذ وتعلّم جميع الشعوب" (راجع متى 28: 19). لقد وجدت الكنيسة في المدرسة ذراعها وشريكها في الرسالة. ومن هذا المنظار فالكنيسة هي

11 في التربية المسيحية، 6.

12 في التعليم العام والتقني 61، في التربية المسيحية، 3.

13 التعليم والعام والتقني، 60.

14 المرجع نفسه، 63

أمّ ومعلّمة، وبالتالي مرّيّة الأشخاص والشعوب، وهي الحريضة على تثقيفهم بالعلوم الفضلى والقيم الروحية والأخلاقية والإنسانية¹⁵.

وإن ما يعني الكنيسة في الأساس هو تعليم طريق الخلاص، ونقل الحياة الجديدة بالمسيح، بحيث يبلغ أبنائها وبناتها ملء هذه الحياة. ولذا فهي تعمل بعناية كبيرة على تعزيز إيماء الشخص البشري إيماء شاملاً، وعلى تعزيز خير المجتمع الأرضي، وبناء عالم أكثر إنسانية¹⁶.

لاتمام هذه الرسالة تعتمد الكنيسة، كنيسة الشهادة والشهداء، على الاباء المرشدين ومعلمي التعليم المسيحي وعلى كهنة الرعايا ومطارنة الأبرشيات والعائلات وجميع الذين واللواتي يشهدون لكلمة الله، بأقوالهم وأعمالهم وتكرّسهم لكي تبقى مدارسنا جماعة متضامنة ومتعاونة تغتذي بالالتزام "بقيم الشهادة الثلاث الأساسية: قيمة الإيمان الشخصي، قيمة المحبة الاجتماعية، وقيمة رجاء رسالية"¹⁷

9. إننا، إذ نفتتح اليوم هذا المؤتمر السنوي لمدارسنا الكاثوليكية بموضوع "الراعية المدرسية"، ومن ضمنه صنع "الجماعة التربوية"، إنما نضعه تحت انوار المعلم الإلهي يسوع المسيح، مثال الشهداء، وشفاعة امنا مريم العذراء، كرسي الحكمة، ومثال الشهود راجين له النجاح في أعماله ومقرراته، لخير أجيالنا الطالعة والكنيسة والوطن.

* * *

¹⁵ في التعليم العام والتقني، 62

¹⁶ في التربية المسيحية، 3

¹⁷ سنة الشهادة والشهداء، 9